المغامرات المحبوبة

التِّنِّينُ الشَّاطِرُ


حكايات
اساطير

المغامرات المحبوبة



التِّنِّينُ الشَّاطِرُ

أعادَ الحِكايةَ : يعقوب الشاروني
وَضَعَ الرُّسُومَ : مارتِن إيتشِيسُون

مكتبة لبنان

تَحْكي هٰذِهِ القِصَّةُ الجَذّابَةُ المُغامَراتِ المُثيرَةَ الَّتي قامَ بِها التِّنّينُ تُور، وَكَيْفَ أَصْبَحَ تِنّينًا أَصيلاً قاذِفًا لِلَّهَبِ، قادِرًا عَلى مُساعَدَةِ كُلِّ النّاسِ، في جَوٍّ مِنَ الإِثارَةِ والبَراعَةِ والمَرَحِ.

وَرُسومُ الكِتابِ رائِعَةٌ ذاتُ أَلْوانٍ ساحِرَةٍ، تَشُدُّ الطِّفْلَ إِلَيْها بِما فيها مِنْ بَهاءٍ، وبِما تُوحي مِنْ خَيالٍ مُتَمِّمٍ لِعُنْصُرِ الحِكايَةِ.

وتَجْدُرُ الإِشارَةُ إِلى أَنَّ وَراءَ هٰذِهِ الحِكايَةِ الطَّريفَةِ المُسَلِّيَةِ غايَةً تَرْبَوِيَّةً؛ فَفيها تَوْجيهٌ غَيْرُ مُباشِرٍ لِلأَطْفالِ، يُساعِدُهُمْ عَلى بِناءِ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ والاِطْمِئْنانِ إِلى قُدُراتِهِمِ الذّاتِيَّةِ وإِمْكاناتِهِمْ. كَما إِنَّ فيها دَعْوَةً إِلى الأَطْفالِ لِيَنْظُروا إِلى ما حَوْلَهُمْ مِنْ طَبيعَةٍ وَمَخْلوقاتٍ نَظْرَةَ المُتَفَهِّمِ المُحِبِّ، لا نَظْرَةَ الخائِفِ المَذْعورِ. فَالتِّنّينُ هُنا صَديقُ الأَطْفالِ، يُساعِدُهُمْ وَيُشارِكُهُمْ في أَلْعابِهِمْ، لا الوَحْشُ الأُسْطورِيُّ الَّذي يُرْعِبُهُمْ وَيُشَوِّهُ عَيْشَهُمْ. ولِذٰلِكَ، فَإِنَّ الشَّخْصِيّاتِ، الَّتي نُقابِلُها في هٰذِهِ الحِكايَةِ، وفي سائِرِ حِكاياتِ هٰذِهِ السِّلْسِلَةِ، شَخْصِيّاتٌ بَشَرِيَّةٌ أُلْبِسَتْ هَيْئَةَ الحَيَوانات، لِتَكونَ أَقْرَبَ إِلى قُلوبِ الأَطْفالِ الَّذينَ يُحِبّونَ الحَيَواناتِ ويأْنَسونَ بِها.

وَرَغْبَةً في الاِسْتِفادَةِ مِنْ هٰذِهِ الغايَةِ التَّرْبَوِيَّةِ وَمِنْ شُعورِ الطِّفْلِ بِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ هٰذا الجَوِّ المُحيطِ بِهِ، فَقَدْ أُوثِرَ أَنْ تُخاطَبَ الشَّخْصِيّاتُ، عَلى مَدارِ الحِكايَةِ، مُخاطَبَةَ العاقِلِ.

طُبِعَ في انكلترا
١٩٨١



كانَ التِّنِّينُ تنُّور الابْنَ الأَصْغَرَ والأَعَزَّ في أُسْرَتِهِ. وكانَ طِفْلاً هادِئًا حالِمًا، لا يُشْبِهُ إخْوَتَهُ المُشاغِبينَ.

عِنْدَما ذَهَبَ إلى المَدْرَسَةِ، أَخَذَتِ المُعَلِّمَةُ تُعَلِّمُهُ كَيْفَ يَزْفِرُ اللَّهَبَ مِنْ أَنْفِهِ.

كانَ رِفاقُهُ مِنَ التَّنانينِ الصِّغارِ يَفْعَلونَ ذلِكَ بِمَهارَةٍ. أَمّا تنُّور، فكانَ يَحْني رَأْسَهُ خَجَلاً، لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ على إخْراجِ اللَّهَبِ.

وكُلُّ ما استَطاعَ تَنُّور أَنْ يُخرِجَهُ كانَ قَليلاً مِنَ الدُّخانِ الأَسْوَدِ. فغَضِبَتْ مِنْهُ المُعَلِّمَةُ، وقالَتْ: «إنَّ ما تُخْرِجُهُ يا تَنُّور لَيْسَ كافِيًا. أَيْنَ النّارُ؟»

وبَذَلَ تَنُّور جُهْدًا كبيرًا لإخْراجِ اللَّهَبِ، لكِنَّ اللَّهَبَ لَمْ يَخْرُجْ.

عِنْدَئِذٍ، ضَحِكَ جَميعُ أَطْفالِ التَّنانينِ، وأَطْلَقوا عَلى تَنُّور أَسْماءً مِثْلَ «الخائِبِ» و «السَّرْحانِ».



قَذْفُ اللَّهَب:
لهوب ١٠/١٠
شعلان ٩/١٠
تناري ٧/١٠
تنّور صفر/١٠

مَشى تنُّور مُتعثِّرًا حَزينًا باكيًا.

بَكى كَثيرًا ومَشى طَويلاً، ثُمَّ ارْتَمى بَيْنَ الحُقولِ مُتْعَبًا بائِسًا ونامَ.

نامَ نومًا عَميقًا. وتَراءى لَهُ في الحُلْمِ أَنَّ بُخارًا كَثيفًا يُحيطُهُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ. ولَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ سِرَّ ذٰلِكَ البُخارِ.



ثُمَّ ظَهَرَتْ مِنَ البُخارِ تِنّينَةٌ صَغيرَةٌ جَميلَةٌ ، عَيْناها مِثْلُ قِطْعَتَيْنِ مِنَ الماسِ ، وأَسْنانُها كاللّآلِئِ . فصاحَ تنُّور : «ما أَجْمَلَها ! » وَتَمنّى أَنْ يَتَعَرَّفَ إلَيْها ، ويَكونَ صَديقًا لَها .



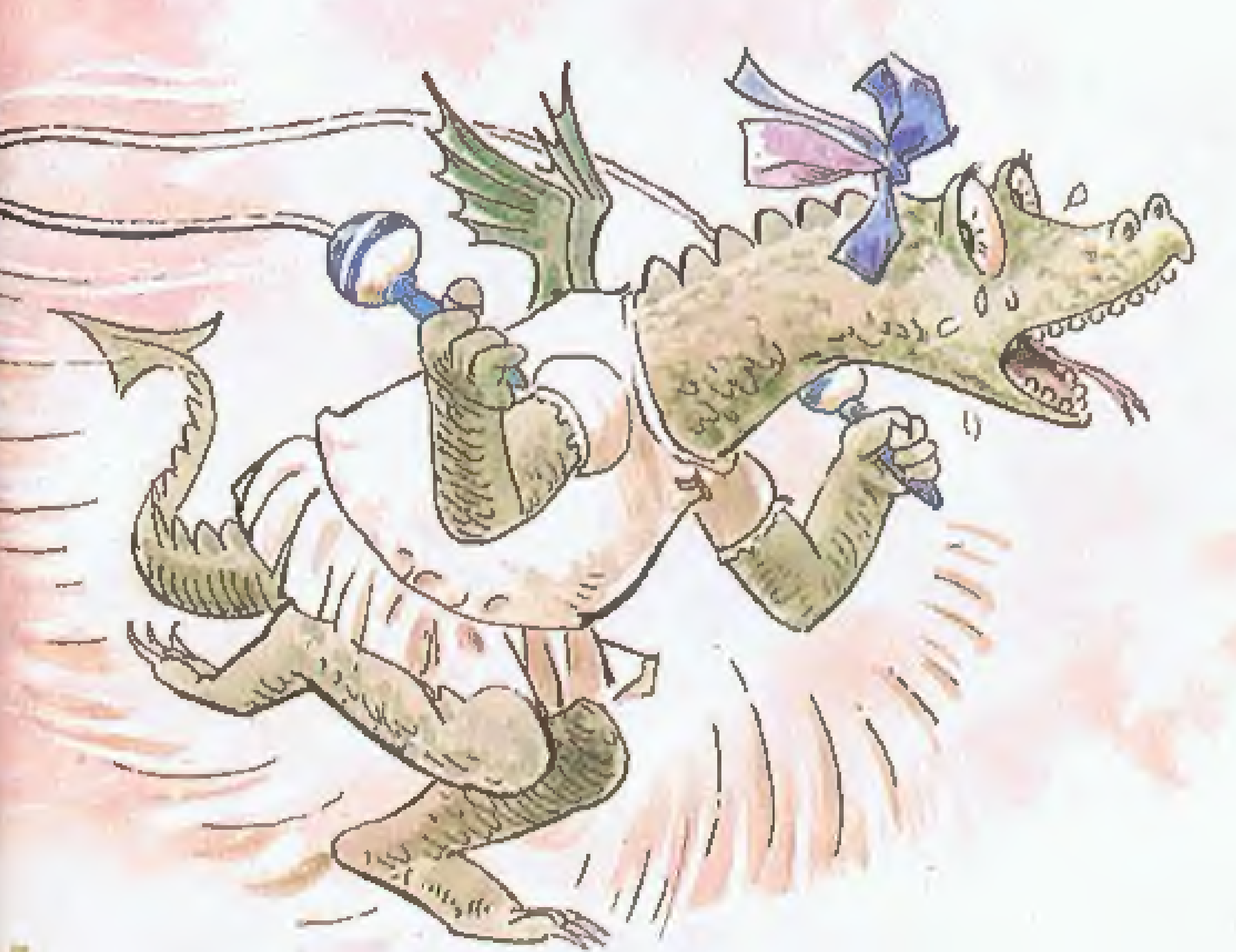


فَجْأَةً ، سَمِعَ ضَوْضاءَ مِثْلَ الرَّعْدِ ، وارْتَفَعَتْ أَصْواتٌ مُخيفَةٌ .

بَرَزَ مِنَ البُخارِ تِنّينٌ فَتِيٌّ ضَخْمٌ وقَبيحُ المَنْظَرِ ، وراحَ يَقْذِفُ اللَّهَبَ والدُّخانَ في ضَوْضاءَ شَديدةٍ ، إيْذاءً مِنْهُ لِلآخَرينَ وإزْعاجًا لَهُمْ .

وعِنْدَما رَأى التِّنّينَةَ الجَميلَةَ هُناكَ ، انْدَفَعَ نَحْوَها .

شَعَرَتِ التِّنّينَةُ بِالخَوفِ الشَّديدِ ، وأَخَذَتْ تَجْري . أَمّا تَنّور ، ويا لَلْعَجَبِ ، فَلَمْ يَكُنْ خائِفًا !





قَبْلَ أَنْ يَصِلَ التِّنِّينُ الضَّخْمُ القَبيحُ إلى التِّنِّينَةِ الجَميلَةِ ، انْدَفَعَ تَنُّور نَحْوها ، ووَقَفَ أَمامَها ، مُصَمِّمًا عَلى الدِّفاعِ عَنْها .

اِقْتَرَبَ التِّنِّينُ القَبيحُ مِنَ التِّنِّينَةِ ، فصاحَ تَنُّور في غَضَبٍ : «قِفْ مَكانَكَ ، ولا تَتَقَدَّمْ خُطْوَةً واحِدَةً . سَأُلاقيكَ وأُصارِعُكَ إذا لَزِمَ الأَمرُ .»

ثُمَّ شاهَدَ أَمامَ عَيْنَيْهِ دُخانًا ولَهَبًا . وأَدْرَكَ فَجْأَةً أَنَّهُ كانَ قَدْ بَدَأَ يَقْذِفُ اللَّهَبَ لَحْظَةَ وَقَفَ مُسْتَعِدًّا لِلْقِتالِ !

ما كانَ أَسْهَلَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ !

عَرَفَ تنُّور عِنْدَئذٍ أَنَّهُ أَصْبَحَ قادِرًا عَلى أَنْ يَقْذِفَ اللَّهَبَ كَما يَقْذِفُهُ الكِبارُ، وأَنَّهُ لَنْ يَجِدَ بَعْدَ ذٰلِكَ صُعوبَةً في أَنْ يُكَرِّرَ عَمَلَهُ مَتى شاءَ.

ثُمَّ رَأى تنُّور أَنَّ التِّنِّينَ الضَّخْمَ القَبيحَ يُديرُ ظَهْرَهُ طالِبًا الهَرَبَ. فَذَهِلَ مِمّا رَأى، وصاحَ: «إِنَّهُ يَهْرُبُ... لَقَدْ خافَ مِنّي!»





لَقَدْ خافَ مِنْهُ فِعْلًا ذٰلِكَ التِّنِّينُ المُؤْذي ، فَهَرَبَ واخْتَفى وَسْطَ البُخارِ الكَثيفِ.

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، اسْتَيْقَظَ تنُّور مِنْ نَومِهِ ، وتَلَفَّتَ حَوْلَهُ في دَهْشَةٍ وسَأَلَ نَفْسَهُ : «أَيْنَ التِّنِّينَةُ الجَميلَةُ؟ هَلْ رَحَلَ التِّنِّينُ المُؤْذي أَخيرًا؟»

كانَ تنُّور يَشْعُرُ بِالحَيْرَةِ والارْتِباكِ ، ويُحِسُّ أَنَّ صُوَرَ الحُلْمِ تَتَلاشى بِسُرْعَةٍ.



فَجْأَةً، تذَكَّرَ مِنَ الحُلْمِ شَيْئًا مُثيرًا. تذَكَّرَ أَنَّهُ قَذَفَ في حُلْمِهِ نارًا! أَعادَ التَّجْرِبَةَ، فإذا بِاللَّهَبِ يخْرُجُ مِنْ مِنْخَرَيْهِ، كمَا خرَجَ في الحُلْمِ، قَوِيًّا مُتَواصِلاً.

أَحَسَّ تَنُّور بِفَرَحٍ عَظيمٍ لأَنَّهُ تأَكَّدَ أَنَّهُ لا يَخْتَلِفُ عَنِ الآخَرينَ، وصاحَ:

«إِنِّي أَرْمي اللَّهَب...
أَنا تِنِّينٌ عَجَب!»

وراحَ يَقْفِزُ ويَلْعَبُ مُرَدِّدًا عِبارَتَهُ تِلْكَ، وقاذِفًا اللَّهَبَ مِنْ مِنْخَرَيْهِ، حَتّى فَزِعَتْ مِنْهُ حَيَواناتُ البَرِّيَّةِ، واسْتَغْرَبَتْ حَرَكاتِهِ.



رَأى تَنُّور رِفاقَهُ في طَريقِهِمْ إلى المَدْرَسَةِ، فقالَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ: «سَوْفَ أُريهِمْ مَقْدِرَتي... لَنْ أتَسَرَّعَ... سَأتَصَرَّفُ بِهُدوءٍ.»

وعِنْدما وَصَلوا كُلُّهُمْ قُرْبَهُ، وَقَفَ، ورَفَعَ رَأْسَهُ عالِيًا في الهَواءِ.

ثُمَّ زَفَرَ زَفْرَةً صَغيرَةً قَصيرَةً، فامْتَلأَ الجَوُّ مِنْ حَوْلِهِ لَهَبًا ودُخانًا!



ما كانَ أَشَدَّ دَهْشَةَ رِفاقِهِ ! لَقَدْ تَوَقَّفوا . واسْتَغْرَبوا وتَعَجَّبوا كَيْفَ يُخْرِجُ تنُّور اللَّهَبَ .

لكِنْ تنُّور لَمْ يَشْرَحْ لَهُمْ شَيْئًا. أَمّا المُعَلِّمَةُ ، فَقَدْ شَعَرَتْ بِسُرورٍ عَظيمٍ لِنَجاحِ تَنُّور ، ومَنَحَتْهُ نَجْمَةَ التَّفَوُّقِ .

تَنّور يَـذْهَبُ لِلْعَـمَلِ



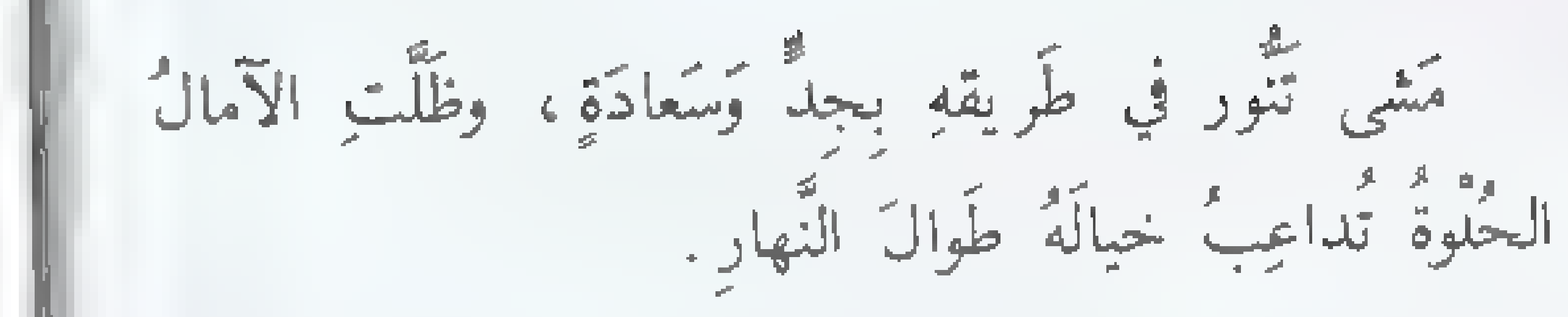


مَرَّتْ بِضعُ سَنَواتٍ. وكَانَ عَلى تُّور أَنْ يَتْرُكَ المَدْرَسَةَ ، وأَنْ يُسافِرَ مُفَتِّشًا عَنْ عَمَلٍ يَكْسِبُ مِنْهُ عَيْشَهُ.

مَضى زَمانُ اللَّعِبِ والأَحْلامِ !

وَقَفَتْ أُمُّ تُّور تُوَدِّعُ ابْنَها ، وتُحاوِلُ جاهِدَةً أَنْ تُخْفِيَ عَنْهُ دُموعَها.

كانَتْ تَخافُ أَلَّا يَجِدَ ابْنَها عَمَلاً ، وتَخافُ أَكْثَرَ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْها ولا تَعودَ تَراهُ.

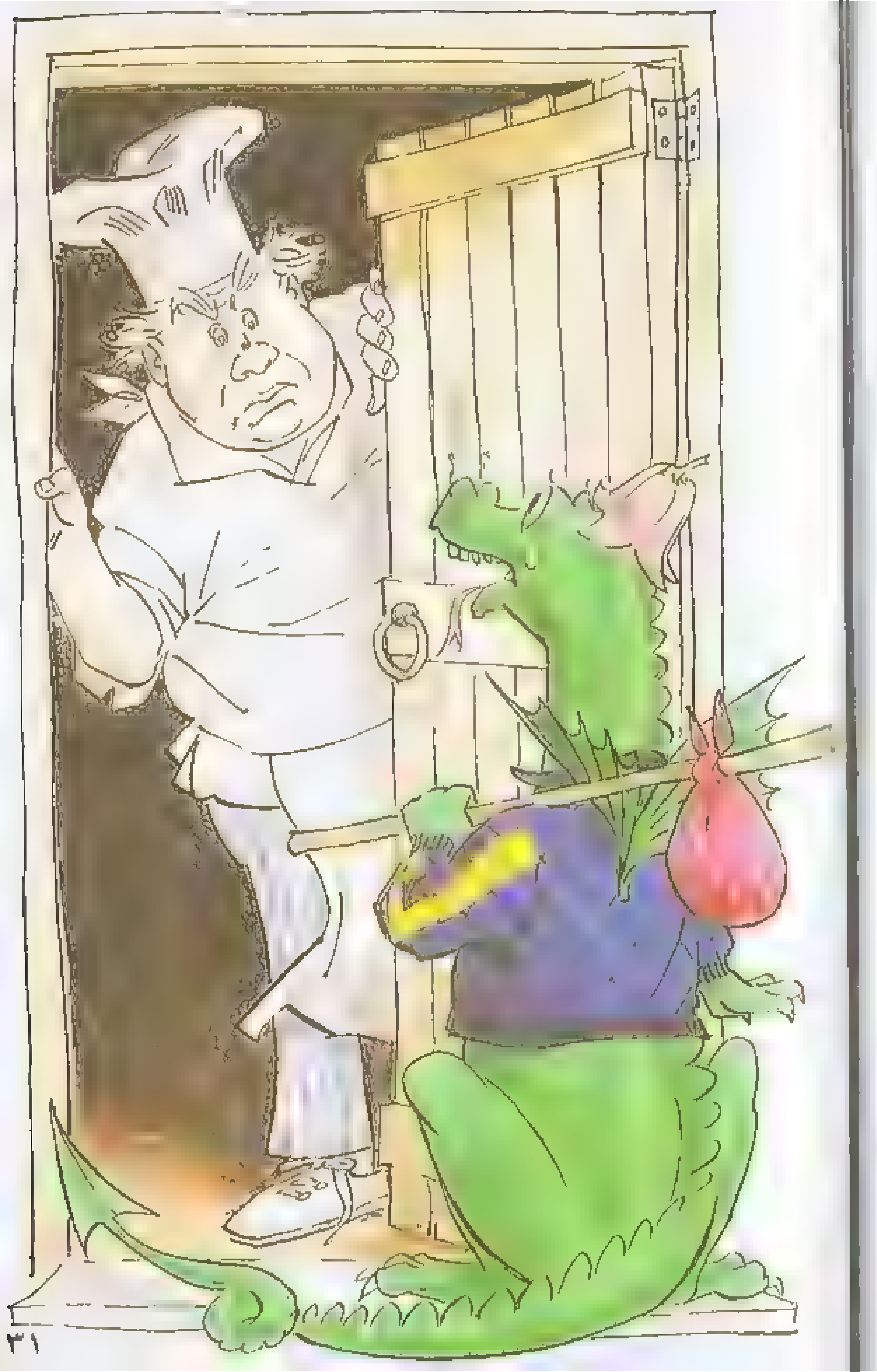


مَشى تنُّور في طَرِيقِهِ بِجدٍّ وَسَعادَةٍ، وظَلَّتِ الآمالُ الحُلْوةُ تُداعِبُ خيالَهُ طَوالَ النَّهارِ.

ثُمَّ أَخَذَتِ الشَّمْسُ تَغيبُ، فَشَعَرَ بِالخَوْفِ، وعَرَفَ أَنَّهُ ضَلَّ طَرِيقَهُ.

تَضايَقَ تنُّور، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ أَنْ يُسافِرَ بَعيدًا، وَلا أَنْ يَقْضيَ لَيْلَهُ وَحيدًا.

وبَيْنَما هُوَ في قَلَقِهِ، تَراءَتْ لَهُ مِنْ بَعيدٍ أَضْواءُ بَلْدَةٍ. فأَسْرَعَ إِلَيْها.



طَرَقَ بابَ أَوَّلِ بَيْتٍ في البَلْدَةِ، راجِيًا أَنْ يَجِدَ مَكانًا يَسْتَريحُ فيهِ.

فَتَحَ البابَ رَجُلٌ ضَخْمٌ، غَطّى الدَّقيقُ وَجْهَهُ الحَزينَ.

كانَ الرَّجُلُ خَبّازَ البَلْدَةِ كُلِّها. وعِنْدَما رَأى وَجْهَ تُنّور، عَبَسَ وَبَدَتْ عَلَيْهِ خَيْبَةُ الأَمَلِ.

قالَ الخَبّازُ: «ماذا تُريدُ أَيُّها التِّنّينُ الصَّغيرُ؟ لا وَقْتَ عِنْدي أُضَيِّعُهُ في الحَديثِ. النّارُ في فُرْني القَديمِ تَنْطَفِئُ، وخُبْزي يُوْشِكُ أَنْ يَتْلَفَ. وَلَيْسَ عِنْدي ما يَكْفيني مِنَ الحَطَبِ.»

قالَ تنُّور بِشَيْءٍ مِنَ العَصَبِيَّةِ: «كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ مَكانٍ أَقْضي فيهِ اللَّيْلَ، ولكِنْ أرى الآنَ أَنّي أَسْتَطيعُ مُساعَدَتَكَ. لِنَدْخُلْ، وسَوْفَ تَرى ما يُمْكِنُني عَمَلُهُ.»

دَخَلَ الاِثْنانِ إلى المَخْبَزِ، فقالَ تنُّور: «قِفْ بَعيدًا مِنْ فَضْلِكَ!»

ثُمَّ زَفَرَ في الفُرْنِ زَفْرَةً قَوِيَّةً مُخْرِجًا مِنْ أَنْفِهِ نارًا هائِلَةً.



نَضِجَتِ الأَرْغِفَةُ الشَّهِيَّةُ بِسُرْعَةٍ؛ فَرَقَصَ الخَبّازُ فَرَحًا، وصاحَ: «أَنْقَذْتَ اليَوْمَ خُبْزي، فشُكْرًا لكَ أَيُّها التِّنِّينُ الصَّغيرُ!»

جَلَسَ تُنُّور مُرْتَبِكًا جِدًّا، لا يَعْرِفُ ما يَقولُ لِلْخَبّازِ.

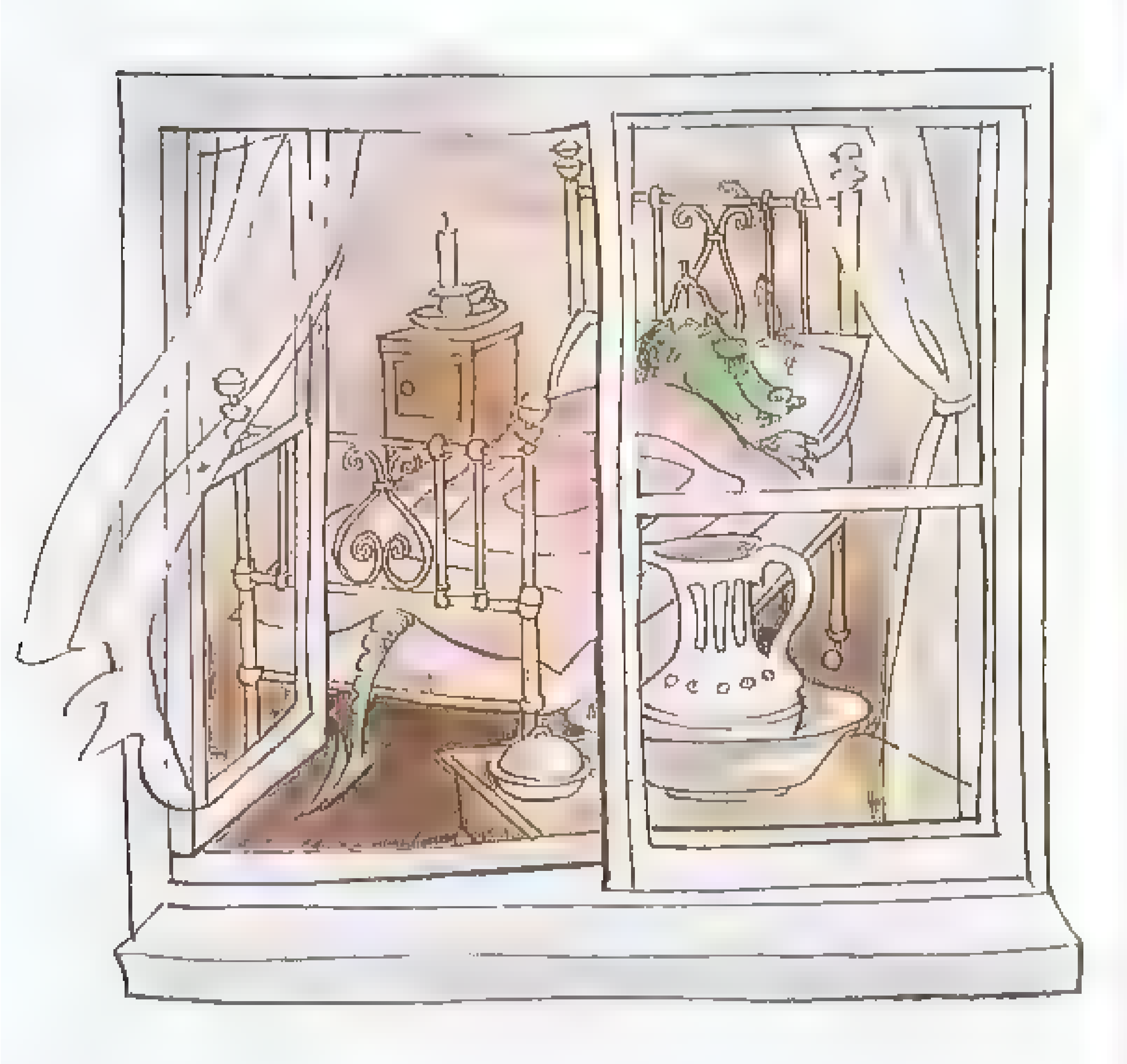
ثُمَّ تَجَرَّأَ وقالَ بِحَياءٍ شَديدٍ: «إذا كُنْتَ في حاجَةٍ إلَيَّ يا سَيِّدي، فَسَيُسْعِدُني أَنْ أَبْقى مَعَكَ.»

فَرَحَّبَ الخَبّازُ بِتُنُّور تَرْحيبًا حارًّا.

اِنْتَشَرَتْ أَنْباءُ تنُّور والخَبّازِ في كُلِّ مَكانٍ مِنَ المَدينَةِ.

وتَزاحَمَ النّاسُ عَلى شِراءِ الخُبْزِ، ووَقَفوا في صُفوفٍ طَويلَةٍ جِدًّا يَنْتَظِرونَ دَوْرَهُمْ.

كانَ تنُّور يَنْهَضُ مِنْ فِراشِهِ باكِرًا كُلَّ صَباحٍ، ويَبْدَأُ عَمَلَهُ بِقَذْفِ اللَّهَبِ في الفُرْنِ. ويَظَلُّ يَعْمَلُ طوالَ النَّهارِ في مُساعَدَةِ الخَبّازِ. ويَذْهَبُ مَساءً إلى فِراشِهِ مُتْعَبًا، لكِنَّهُ راضٍ سَعيدٌ.





عَرَفَ النّاسُ التّنّينَ، وأَحَبّوا وَجْهَهُ السَّعيدَ، وتَمَنَّوْا أَنْ يُساعِدَهُمْ أَيْضًا في بَعْضِ أَعْمالِهِمِ الأُخْرى.

وفي يَوْمٍ مِنْ أَيامِ شُباطَ (فبْرايِر) البارِدَةِ، جَمَعَ أَطْفالُ البَلْدَةِ وأَهْلوهُمْ حَطَبًا، وأَرادوا أَنْ يُشْعِلوا نارًا احْتِفالاً بِعيدٍ مِنْ أَعْيادِهِمْ.

فَجْأَةً، سَقَطَ المَطَرُ بِغَزارَةٍ فَبَلَّلَ الحَطَبَ.

حَزِنَ الأَطْفالُ لأَنَّ الحَطَبَ لَمْ يَعُدْ يَشْتَعِلُ. لكِنَّ واحِدًا مِنْهُمْ صاحَ: «تَنّور يُشْعِلُ الحَطَبَ!»

جاءَ تَنّور مُسْرِعًا، وقَذَفَ لَهَبَهُ القَوِيَّ في كَوْمَةِ الحَطَبِ. فاشْتَعَلَتِ اشْتِعالاً شَديدًا، وامْتَلأَتِ السَّماءُ بِنورِ الذَّهَبِ. واحْتَفَلَ الأَوْلادُ احْتِفالاً عَظيمًا.



شكَرَ الأَطْفالُ صَديقَهُمْ وقالوا لهُ : «تَعالَ انْظُرْ كَيْفَ نُطْلِقُ صَواريخَنا !»

كانَ تَنُّور يُحِبُّ الأَلْعابَ النّارِيَّةَ بِتَوَهُّجِها وأَلْوانِها وفَرْقَعَةِ نيرانِها. فشارَكَ الأَطْفالَ في لَعِبِهِمْ ومَرَحِهِمْ، وساعَدَهُمْ في شَيِّ اللَّحْمِ والبَطاطا. وفَرِحَ الأَطْفالُ فَرَحًا عَظيمًا وشكَروا التِّنّينَ الصَّغيرَ لأَنَّهُ جعَلَ لَيْلَتَهُمْ تِلْكَ أَحْلى اللَّيالي.



قالَ الخَبّازُ لِتنّور: «سَيَأْتي عيدُ رأْسِ السَّنَةِ قَريبًا يا تنُّور.»

وَلَمْ يَكُنِ التِّنّينُ يَعْرِفُ هذا العيدَ. فَوَقَفَ في حَيْرَةٍ تامَّةٍ. فَحَدَّثَهُ الخَبّازُ، في أَثْناءِ عَمَلِهِما، عَنْ رأْسِ السَّنَةِ. قال: «في رَأْسِ السَّنَةِ، نُغَنّي الأَغانِي المَرِحَةَ، ونَتَبادَلُ الهَدايا، ونُزَيِّنُ البَيْتَ بِالأَضْواءِ المُلَوَّنَةِ. ونُساعِدُ الفُقَراءَ والمُحْتاجينَ. هٰذا العيدُ نَحْتَفِلُ بِهِ أَوَّلَ كُلِّ عامٍ. ويَسْعَدُ بِهِ الصِّغارُ والكِبارُ.»

وَفَهِمَ تنُّور أَنَّ هٰذا العيدَ مُناسَبَةٌ بَهيجَةٌ وجَليلَةٌ.

خبَزَ الخبّازُ كميّاتٍ كبيرةً مِنَ الخُبْزِ، فقلَّ مخزونُ الدَّقيقِ في فُرْنِهِ.

وتطلَّعَ تنُّور مِنَ النّافذةِ، فرأى الثَّلْجَ يتساقطُ.

وفي اليومِ التّالي، تزايدَ تساقُطُ الثَّلْجِ، فانْقطعتِ الطَّريقُ وتوقَّفتِ السَّيّاراتُ، وتعذَّرَ وُصولُ الدَّقيقِ الَّذي يحْتاجُهُ الخبّازُ.

قالَ الخبّازُ، وقدْ ظهرَ عليْهِ الحُزْنُ الشَّديدُ: «لا خُبزَ غدًا.»

فكّرَ تنُّور في الأمْرِ كثيرًا. وفجْأةً لمعتْ عيْناهُ ببريقٍ قويٍّ، وكأنَّما توصَّلَ إلى فِكْرةٍ رائعةٍ.





اِنْدَفَعَ تَنُّور خارِجًا مِنَ الفُرنِ، وسارَ فَوقَ الثُّلوجِ. ولَمْ يأْبَهْ بِالبُرودَةِ الشَّديدَةِ الَّتي أَصابَتْ قَدَمَيْهِ.

ثُمَّ أَخَذَ يَزْفِرُ بِلُطْفٍ وخِفَّةٍ، فَخَرَجَ اللَّهَبُ مِنْ مِنْخَرَيْهِ، وامْتَدَّتْ أَلْسِنَتُهُ إلى ثَلْجِ الطَّريقِ.

أَخَذَ الثَّلْجُ يَذوبُ شَيئًا فشَيْئًا ، حَتّى انْفَتَحَتِ الطَّريقُ أَمامَ السَّيّاراتِ. وسُرْعانَ ما وَصَلَتْ شاحِنَةٌ إلى المَخْبَزِ ، وفيها ما يحْتاجُ إلَيْهِ الخَبّازُ مِنْ دَقيقٍ.

وفي يَومِ العيدِ ، تَوَقَّفَ العَمَلُ ، وبَدَأَتِ الإجازَةُ.

قالَ تَنُّور لِلْخَبّازِ : «أَرْجُو أَنْ تَأْذَنَ لي بِالسَّفَرِ بِضْعَةَ أَيّامٍ لِأَزورَ أُمّي.»





وَصَلَ تَنُّور إلى بَيْتِهِ ، فَأَسْرَعَتْ أُمُّهُ إِلَيْهِ تُعانِقُهُ. كانَتْ سَعيدَةً جِدًّا بِرُؤْيَتِهِ ، وفَخورَةً بِمَا قامَ بِهِ مِنْ مُساعَدَةٍ لِلنّاسِ ، أَكْسَبَتْهُ مَحَبَّتَهُمْ واحْتِرامَهُمْ.



١ – مِشْمِش وفُلْفُلَة
٢ – في مَدينَةِ المَلاهي
٣ – الشَّمْسِيَّةُ الطّائِرَة
٤ – أَرْنوب وأَرْنَباد
٥ – رَحيلُ الأَرانِب
٦ – التِّنّينُ الشّاطِر
٧ – فَرْفور المُغامِر

سِلْسِلَة « المُغامَرات المَحْبوبَة »

Series 401 Arabic


الى العمل